الفصل السادس
المرأة عند النصارى

لا شك أنه من المعروف أن المسيحيين ولا سيما الرهبان لا يرغبون بالزواج ، ويعتبرون الكاهن الذي يتزوج مرتداً عن دينه خارجاً عن تعاليم الكنيسة وخارجاً عن العقيدة النصرانية ، وفي حال دراستك لهـذا الموقف دراسة متعمقة وجدت أنه لا ينطلق من رغبة هـٰذا الكاهن لتفرغه لقضايا قومه ، بل إنه ينطلق أساساً من نوعٍ من التأثيم الوارد في العقيدة المسيحية للمرأة ، وإنما نشأ ذلك نتيجة لتحميلهم حواء عليها السلام مسؤولية إخراج آدم عليه السلام من الجنة ، ومن مبادئهم المعروفة أنه من أراد ملكوت السماء فيجب عليه أن يترك الزواج .

وأما حجة البعض في قولهم بأن التفرغ الكامل للعباد وقضايا القوم تتطلب منه العزوف عن الزواج؛ لأن الزواج يعتبر حائلاً في سبيل ذلك ، فهو كلام مردود؛ لأن الإنسان سواء أكان رجلاً أم امرأةً مفطور على الغريزة ، وهـٰذه الغريزة إذا لم تفرغ بقنوات شرعية سليمة فسوف تؤدي إلى دمار (وأي دمار) ، فهـذا الكاهن هو بشر لا نستطيع أن نرفعه عن مستوى البشرية ، وطالما أنه كذلك فإن الغرائز والمشاعر تغلي في كيانه وتتنازع بين أضلاعه ، ونتيجةً لكبت هـٰذه الغرائز فستتحول إلى نارٍ لا رادَّ لها تأكل الأخضر واليابس ، فالكاهن يكبتها وهي تتوقد وتشتعل ، ثم تزداد التهاباً ثم تلتهب إلى درجة لا يستطيع الكاهن أن يسيطر عليها فتجعل منه أداة للرذيلة بدلاً من أن يكون وسيلةً لنشر الخير ، فنحن كمنطقيين لا نستطيع أن نتعامل مع الكاهن على أنه مَلَكٌ من الملائكة ، بل لا بد أن نتعامل معه بكونه بشراً تسري عليه جميع الأحكام التي

تسري على البشر سواء ما يتعلق منها بحاجاته الفيزيولوجية[1] ، وما يتعلق منها بحاجاته النفسية ، فكيف تستطيع أن تشعر بالارتياح إذا دخلت امرأتك أو ابنتك على رجلٍ ممتنع عن اقترابه من النساء وهي تجلس لمدةٍ طويلةٍ بين يديه على كرسي الاعتراف من أجل أن تعترف بخطايا جنسية ، مع علمك بالآثار الطبيعية التي تغلي في جسد هٰذا الإنسان نتيجة كبت غرائزه.

لقد حدثت أحداث كثيرة ، ونشرت في صحف متعددة الحالات التي يعتدي بها الكهنة على النساء المعترفات ، وذلك ناتج عن الكبت الذي يعانيه الكاهن من هٰذه الرهبانية التي ابتدعوها من عند أنفسهم ولم يؤدوا حقها بالشكل المناسب ، بل ولن يستطيعوا أن يؤدوا حقها؛ لأنها تتعارض مع أبسط ضروريات الحياة ولأنها خروج عن قواعد الفطرة والمنطق ، ولقد ورد في السنة النبوية:

(عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها ، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً ، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني[2]). فترى أن الشريعة الإسلامية تتعامل مع البشر على وفق قدرات هؤلاء البشر فقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

---

(١) الفيزيولوجية: الجسدية.

(٢) صحيح البخاري ـ ج٥ ـ برقم ٤٧٧٦.

ومن خلال ما تقدم ترى أن القرآن الكريم ، باعتباره شريعة من لدن عليم حكيم رافع السماوات والأرض بغير عمد ، تنسجم انسجاماً مطلقاً مع القواعد العلمية والفيزيولوجية والنفسية للبشر ، أما هؤلاء النصارى فانطلقوا من مبدأ خاطئ ، وأكرر وأقول: إن اعتمادهم هـٰذا المنطق نابع حقيقة الأمر من تأثيمهم للمرأة نتيجةً لتحميلها وزر إخراج البشرية من الجنة ، ولو أنهم لم يجهروا بذلك وتذرعوا بأسباب أخرى. وجاء نص بولص الرسول:

(وآدم لم يغو ولكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي)[1] فلأن حواء عليها السلام هي التي كانت السبب ـ حسب عقيدتهم ـ في إخراج آدم من الجنة ، فاستنبطوا وجوب ابتعاد الرجل عن الزواج إذا أراد الارتقاء إلى ملكوت السماء وينال رضوان الله عز وجل ، وقد جاء في الإنجيل: (فدنا منه فيسيوم يجربوه قائلين: هل للرجل أن يطلق امرأةً لأية علة؟ فأجاب وقال: أما قرأتم أن الخالق منذ البدء جعلهما ذكراً وأنثى ، وأنه قال: لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته ويكون كلاهما جسداً واحداً إذا ما جمعه الله لا يفرقه إنسان! فقالوا له: لماذا إذن أمر موسى أن تعطى كتاب الطلاق ، ويخلَّى سبيلها؟ فقال لهم: لقساوة قلوبكم ، أذن موسى لكم أن تطلقوا نساءكم ولم يكن من البدء هكـذا ، وأنا أقول لكم: من طلق امرأته لغير زنى وتزوج غيرها زنا ، ومن تزوج مطلقةً زنا ، فقال له تلاميذه: إذا كانت تلك حال الرجل مع المرأة فخيرٌ ألا يتزوج ، فقال لهم: لا يفهم الجميع هـٰذه الكلمة ، بل الذين وهبوا النعمة؛ لأن هناك خصياناً ولدوا هكـذا ، وخصياناً خصاهم الناس ، وخصياناً خصوا هم أنفسهم لأجل ملكوت السماء فمن يستطيع أن يفهم فليفهم)[2].

فمن خلال ما تقدم نرى أن العقيدة المسيحية لم تحرم الزواج بل إنها ألحت على استمرار العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة ، ولكن الشيء الذي يؤخذ عليها أنها تجعل التقرب من الله عز وجل عن طريق اعتزال الزواج ، وهـٰذا الأمر

---

(١) رسالة بولص الإكيوثاوث الإصحاح الثاني.

(٢) إنجيل متى الإصحاح التاسع عشر ـ والخصي: هو بتر الخصيتين.

يعتبر أمراً خطيراً ، وتترتب عليه نتائج غير أخلاقية تنتشر في الأديرة والكنائس ، وما تزال القصص تتوارد وتتكاثر يوماً بعد يوم مما يؤثر سلباً في عقيدة الشاب المسيحي والفتاة المسيحية ، هـٰذه العقيدة التي حرِّفت تحريفاً كبيراً وخرجت من كونها مسيحية إلى الوثنية ، وشتان بين المسيحية السمحاء وبين الوثنية البغيضة ، ولكن لا يخفى أن المسيحيين واليهود على السواء يحمِّلون حواء عليها السلام المسؤولية في شقاء البشرية ، وبالتالي فهم يحملون الجنس النسائي بأكمله هـٰذه التبعة ، وهـٰذا أمر بعيدٌ عن الصحة والحقيقة ، فإن المسؤولية في الشريعة الإسلامية يتقاسمها آدم وحواء عليهما السلام على السواء ، فليس بينهما مسؤول وبريء ، وإلا لنسب إلى الخالق الظلم تعالى وجل عن ذلك علواً كبيراً ، فإذا افترضنا أن حواء عليها السلام هي التي ارتكبت هـٰذه الخطيئة فمن عدالة الله أن يعاقبها وحدها وألا يعاقب آدم معها فإنه بريءٌ من ذلك كما يزعمون ، أما إنزال آدم وحواء عليهما السلام سويةً إلى الأرض فهو دليل ساطع على أن المسؤولية مشتركة بين الطرفين؛ لأن الله عادل ولا يمكن أن يكون غير ذلك ، لا لأنه لا يستطيع عز وجل فهو القادر على كل شيء ، ولا نقول أيضاً بعقيدة الصلاح والأصلح[1] التي قال بها المعتزلة ، بل لأنه عز وجل هو الحق ولا يقبل إلا الحق.

جاء في العهد الجديد: (لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهنَّ أن يتكلّمن بل يخضعنَ كما يقول الناموس ، ولكن وإن كنَّ يرونَ أن يعلمنَ شيئاً فليسألنَ رجالهنَّ في البيت لأنه قبيحٌ بالنساء أن تتكلم في الكنيسة)[2] ، ومن خلال هـٰذا النص يتبين أنه يتضمن شيئاً من التمييز ضد المرأة ، فليس من المنطقي أن نسمح للرجل بأن يتكلم في الكنيسة ونمنع المرأة من هـٰذا الكلام. صحيح أن الشريعة الإسلامية قد منعت المرأة من الأذان (والأذان هو الجهر

---

(١) يقول المعتزلة: أن الله عز وجل مقيدٌ بقانون الصلاح والأصلح ، أي أنه يتصرف ضمن قيد ، وهـٰذا شركٌ واضحٌ لأن الله لا يقيده شيء ، فالقيد مخلوق والله خالق ، ولا يقيد المخلوق خالقاً.

(٢) رسالة بولص إلى كورنسوس ـ الإصحاح الرابع عشر.

بالصوت إعلاناً بدخول وقت الصلاة) ، ولكن كان ذلك لأسباب منطقية ألا وهي تجنب الفتنة ، وإن الأذان يقوم أساساً من أجل جلب الناس إلى العبادة ، فيتناقض مع صوت المرأة الذي يثير الفتنة ، أما في حال كلام المرأة كلاماً عادياً من دون تليُّن ولا تنعم ولا تنغيم فلا يعتبر ذلك إثماً في الشريعة الإسلامية ، بل إن المرأة تنطق وتتكلم كما يحلو لها ، وقد كانت تدخل النساء على رسول الله ﷺ فيسألنه بصوتٍ واضحٍ ويسمعه عليه الصلاة والسلام ويسمعه أصحابه أيضاً ويجيبهن ويناقشهن إلى ما هنالك من الأمور الكثيرة والمتواترة في الشريعة الإسلامية ، أما في هٰذا النص الوارد سابقاً عن العقيدة النصرانية فإنه يعتبر بعيداً عن المنطق فيحق للمرأة كما يحق للرجل أن تنطق وأن تستفسر وأن تستفهم عن شؤون دينها طالما أنها بعيدة عن الغواية والإغراء ، ويمنع ذلك في حالة الغواية والإغراء ، فلا يجوز أن يكون المنع عاماً شاملاً لجميع النساء سواء تكلمت بصوت جدي واضح أو بصوتٍ مترخمٍ متنعمٍ مثيرٍ للشهوات ، هٰذا بحقيقة الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على نوعٍ من التمييز الديني الذي نستطيع أن نسميه في أيامنا هٰذه بالتمييز العنصري ضد المرأة لكونها امرأة .

وقد جاء في العهد الجديد النص التالي : (ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح ، وأما رأس المرأة هو الرجل ورأس المسيح هو الله ، وكل رجلٍ يصلي أو يتنبأ وعلى رأسه شيء يشين رأسه ، وأما كل امرأة تصلي أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شيء واحد بعينه إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فيقص شعرها ، وإن كان قبيحاً بالمرأة أن تقص أو تحلق فلتتغط لأن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده ، وأما المرأة فهي مجد الرجل لأن الرجل ليس من المرأة ، بل المرأة من الرجل ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة ، بل المرأة من أجل الرجل ، ولهذا ينبغي للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة)[1] يتضح من هٰذا النص أن هناك تمييزاً واضحاً بين المرأة والرجل في هٰذه الشريعة ، وتلاحظ ذلك فيما يلي :

---

(١) رسالة بولص إلى كورنسوس ـ الإصحاح الحادي عشر .

١ ـ إن رأس الرجل وشعره على صورة الخالق عزَّ وجل كما قالوا (والعياذ بالله) فنحن نعلم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقوله عز من قائل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، أما هؤلاء فيقولون: إنَّ هـٰذا الإنسان الضعيف، هـٰذا البشر القاصر الجاهل صورته على صورة الله عزَّ وجل، يعتبر ذلك كلاماً جائراً ويتجاوزون به الحدود كلها، وهـٰذا التجاوز سيحاسبون عليه حساباً عسيراً، ولكن ليس المقام هنا في سبيل رد هـٰذه الأكذوبة الكبيرة، بل المقام ينحصر في كون هـٰذا الكلام تمييزاً بين المرأة والرجل، إذا كان هـٰذا الرجل على هيئة الخالق وكانت هـٰذه المرأة ليست على هيئة الخالق، فلماذا يكونان مختلفين في هـٰذه الناحية؟ أليس ذلك يعتبر نوعاً من أنواع التمييز؟! لا شكَّ أن غطاء الرأس في الصلوات أمرٌ إسلاميٌّ أيضاً، ولكنه حكمٌ ينبع من مصدر تكريم، ولا ينبع من مصدر تحقير كما هو الحال هنا.

٢ ـ وأما قولهم: إن المرأة خُلِقَت للرجل ولم يُخْلَق الرجل للمرأة! فأيضاً هـٰذا نوعٌ واضحٌ من أنواع التباين والتمييز، فالشريعة الإسلامية أتت لتقول: إن الإنسان سواء أكان ذكراً أم أنثى إنما خلق ليعبد الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فلا فارق في الشريعة الإسلامية بين رجل وامرأة في هـٰذا المقام، وهـٰذا متواجد في العقيدة النصرانية، وهو تمايزٌ مردودٌ وبعيدٌ عن الصحة، أما قضية الحجاب فهي قضية اتحدت فيها الأديان السماوية جميعاً، وهي تتضمن حكماً كثيرة لا مجال لحصرها، ولكن من أبرزها وأسطعها أنها تحدُّ من الفساد في المجتمع؛ لعدم إثارة المفاتن والشهوات والغرائز التي تؤدي إلى دمار الأسر، وانتشار الأمراض وتحطم الكيان البشري.

وفي نهاية المطاف نقول: إن الشريعة المسيحية والتعاليم الدينية النصرانية جاء فيها شيء من المنطق والعدل في كثيرٍ من الحالات، وهـٰذا أمرٌ طبيعي لأنها من لدن خالق السماوات والأرض.

* * *